

العلمية لدى الجاحظ فإن كتاب «البيان والتبيين»^(٣) يجسم قطب التأليف الأدبي، بل به أولاً، وبيعض الكتب الأخرى ثانياً عرف الجاحظ الأديب، ويبدو من المسلم به أن الجاحظ ألف كتاب «البيان والتبيين» في أخريات حياته، إلا أن الدارسين ولا سيما المحققين منهم يتساءلون بشيء من الحيرة عن نسبة هذا الكتاب زمنياً إلى كتاب الحيوان^(٤)، فالجاحظ يذكر في كتاب الحيوان (٤-٢٠٨) كيف أصيب بمرض الفالج - وهو يؤلف كتابه ذاك - وكيف اشتد وقع الداء عليه حتى كاد يحول دون إتمامه، ثم إن بعض المصادر تذكر من جهة أخرى أنه أصيب بالفالج في آخر حياته^(٥) غير أننا نرى الجاحظ مع ذلك كله يذكر في «البيان والتبيين» كتاب الحيوان في ثلاثة مواضع متفرقة :

أ - في حديثه عن اقتلاع الثنايا حيث يقول «وفى هذا كلام يقع في كتاب الحيوان» (١-٦٠).

ب - عند حديثه عن وصف الشعراء لزينة النساء : «وهذان أعميان قد اهتديا من حقائق هذا الأمر إلى ما لا يبلغه تمييز البصير، ولبشار خاصة في هذا الباب ما ليس لأحد، ولولا أنه في كتاب

(٣) الطبعة الثالثة ، نفس المحقق ، القاهرة ١٩٦٨ .

(٤) انظر : مقدمتي المحقق إلى كلا الكتابين ، على أن بعض الدارسين يتجاوزون الوقوف عند هذا المشكل مع جزم مسبق بتأخر البيان عن الحيوان وهو إقرار لا يخلوا من مجازفة .

انظر : عبد العزيز عتيق : تاريخ البلاغة العربية - لبنان ١٩٧٠ ، ص ٥٨ .

(٥) تاريخ بغداد ، ج ١٢ ، ص ٢١٤ .

انظر أيضا ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، القاهرة ١٣٥٠ هـ (ج ٢-ص ١٢٢).